

(كلمة سيادة المطران أنطوان- نبيل الغنداري في المؤتمر الأول للرابطة المارونية " أرضي هويتي " -

قصر المؤتمرات، ضبيّه، السبت 5 تموز 2014 )

أصحاب المقامات،

أيها الحفل الكريم،

شرفني غبطةً أبيعنا السيد البطريرك، مار بشاره بطرس الراعي الكلي الطوبى، وكلفني أن أمثله في هذا المؤتمر الأول الذي تنظمه الرابطة المارونية، مشكورة، تحت عنوان "أرضي هويتي". كما أنقل إليكم محبته الأبوية وبركته الرسولية.

وعى الموارد، منذ بداية وجودهم، قيمة الأرض فأحبوها وتعلقوا بها وتجدروا فيها. رأوا فيها الإرث الذي تكوّنت من خلاله وعليه الهوية المارونية. وهذا ما أكد عليه المجمع البطريركي الماروني حين قال في النص الثالث والعشرين من الملف الثالث: "فإذا ربح الماروني العالم كله وخسر أرضه التي تكوّنت فيها هويته التاريخية يكون قد خسر نفسه" (عدد1).

ترتكز قيمة الأرض إذا لدى الماروني على مفهومه الإيماني ألتابع من أعطيات الكتاب المقدس، وعلى ما يستنتجها اللاهوت المسيحي إنطلاقاً من هذه المعطيات ومن سر التجسد الإلهي.

يحدد الكتاب المقدس علاقة الإنسان بالأرض. فالإنسان هو ابن الأرض التي جبل منها، وهي بالتالي أمه وأليها يعود. والإنسان خلق ليحزب الأرض ويستثمرها ويمارس سلطته على كل ما عليها، حتى ولو أنبتت له، بسبب معصيته، شوكا وحسكا وأجبرته على أن يأكل خبزه بعرق جبينه (تك3،2،1). أي أن البركة الإلهية وميراث الأرض لا يهدفان إلى قداسة الشعوب ونموهم وحدهم، بل أن يتحولوا بركة لآخريين. من هنا فالبعد الأول هو الإختيار والميراث من أجل القداسة والنمو، والبعد الثاني هو الدعوة للقيام برسالة مشاركة البركة مع الآخريين.

أما المسيح الذي تجسد لخلصنا فقد بين لنا ما لعلاقتنا بالأرض من عمقٍ معنى لما قال: " طوبى للودعاء فإنهم يرثون الأرض". بفضل التجسد الإلهي أصبح للأرض قيمة خلاصية، لذا ينبغي لنا العناية بها

والمحافظة عليها واحترامها لأنها لم تعد أرض الإنسان فحسب، بل أصبحت أرض التجسد الإلهي: مساحةً للعيش الكريم الحر، وتأدية الشهادة الصادقة للمسيح، والتفاعل الإنساني السليم مع الناس.

إنّ التماثل بين الماروني والأرض نستدلّ عليه بما ارتسم في النفوس من حدود الأماكن البيئية والمعالم النفسانية والروحية. من الجبال والأودية، لهمم العلوّ والعمق. من الكهوف والمغاور، لهمم الحمى والأمان. من أكاليل الثلج وبياضها، لهمم نقاوة القلب وصفاء الذهن. من العراء والمعابد، لهمم الخلوة والعبادة والنسك. ومن قمم جبل الأرز وصنن تجليات تشيد الأناشيد. تحنوا الصخر الذي تحنوا منه، وأصبحت أرضهم ملجأً للنفوس الأبية ولكل من يحمل قضية، ذلك أنّ الحرية لا تعرف القيود والحدود.

فالموارنة، في علاقتهم بالأرض، عبر الزمان والمكان، هم أبناء الجبال والوديان. طبعوا فيها وأخذوا منها القسوة والحدة. ومع تنامي الهجرة من الجبل والريف إلى المدن والسواحل، أصبحت تتجاذبهم اليوم جدلية التنازع بين التطلّب والشدة، والتساهل والسهولة.

تمسك الماروني، عبر تاريخه بأرضه. فاعتنى بها في الزرع والعمل والبناء، كمن يحتفل به بطريقة أسرارية: يزرع الحنطة والكرمة لتقدمه القرابين، والزيتون الأخضر للميرون والزيت المقدسة، وأشجار التوت لحريز أغذية المذابح وثياب العرس والكهنوت. عنايته بأرضه هي ثراث قداسة واستيقاق إلى ما فوق.

ونرى الموارنة يحملون اسم الأرض التي سكنوها وألّفوها، فانسبوا إليها وتكثت عائلاتهم باسمها: كالكسرواني والشمالي والعماري والتمتي والبيروتي والبشراوي والحصروني والعاقوري والكفوري والدلبتاني والعرموني والريفوني وغيرهم وغيرهم... وكان أرض إقامتهم أصبحت مصدر شجرات عائلاتهم.

غير أنّ قيمة الأرض في روحانيتنا ووجداننا لم تعد ملكاً نتصرّف به على هوانا، بل هي عطية من الله وإرث من الآباء والأجداد. هذا الإرث هو أشبهه بوديعة ثمينة أو ذخيرة مقدسة. والتعامل مع هذا الإرث هو أكثر بكثير من الثمار والمواسم المادية. لقد أصبحت الأرض ذاكرة حية تؤكد هويتنا الخاصة وتواصلنا بالتاريخ. والحفاظ عليها هو حفاظ على هذا الإرث الشخصي والجماعي والوطني. إنها أمانة استلمناها من آباءنا ونسلمها بدورنا إلى أولادنا دون استبدال أو تبديد، مرددين قول نابوت اليزراعي للملك آحاب في سفر الملوك الأول: " معاذ الله أن أبيعك ميراث آبائي" (1مل3:21).

وَالْيَوْمَ أَيَّنَ نَحْنُ مِنْ تَجْدُرِنَا وَأَمَانَتِنَا لِأَرْضِنَا وَقُدْسِيَّتِهَا؟ هَلْ نَتْرُكُ السَّاحَةَ لِإِعَاةِ الْهَيْكَلِ يُتَاجِرُونَ بِهَا لِئَسْتَفِيحَ  
يَوْمًا، وَهُوَ لَيْسَ بِبَعِيدٍ، لِنُصْبِحَ أَغْرَابًا فِي دِيَارِنَا؟

كَمَا سَأَلَ الْقَدِيسَ الْبَابَا يُوحَنَّا بُولُسَ الثَّانِي أَبْنَاءَ الْكَنِيسَةِ: مَاذَا فَعَلْتُمْ وَتَفْعَلُونَ بِعِمَادِكُمْ؟ كَذَلِكَ يَتَرَدَّدُ صَدَى مَنْ  
رَوَّوْا أَرْضَنَا بِالْعَرَقِ وَالْدَمِ : مَاذَا فَعَلْتُمْ وَتَفْعَلُونَ بِأَرْضِكُمْ وَهُوِّيَّتِكُمْ؟ - وَشُكْرًا !

+ انطوان - نبيل العنداري

النائب البطريركي العام

على منطقة جونية